وقوله: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[الزمر:٣٣]

ففي هذه الآيات نجد صفات الأقلية وموقفها من الحق، فهم مؤمنون قبل كل شيء، ومن ثم يتبينون ليتجاوزوا الظن ويحبون الإيمان الحق ويكرهون الكفر الباطل والفسوق والعصيان، ويتجنبون عبادة الطاغوت وينوبون إلى الله، ويستمعون إلى القول بدل اللجاج وكثرة الجدل، ويتبعون أحسن ما يسمعون بدل التعنت والتكبر والصدود، وإذا سمعوا الحق اقشعرت أبدانهم خشية، ولانت جلودهم وقلوبهم لذكر الحق، بل ودمعت عيونهم لما عرفوا من الحق تماما كما قال في حقهم المولى تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾[المائدة:٨٣-٨٤]، فانظر إلى موقف هذه الأقلية النصرانية من الحق، إن عيونهم لتدمع، بل تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، وإن قلوبهم لتخشع فتنفجر حناجرهم بالدعاء ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[المائدة:٨٣]، ثم هي تلوم نفسها إذا تأخرت في الاستجابة للحق، وتتساءل: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ﴾[المائدة:٨٤]، ثم إنها أخيرا تعقد العزم أن تنتمي إلى صف أهل الحق: ﴿ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾[المائدة:٨٤].

إن هذه الآيات تعبر بدقة وشمولية عن موقف الأقلية من الحق، وهناك آيات أخرى تكشف عن موقفها بصريح اللفظ الذي ينص على موقف الأقلية متجليا في الذكر والرجوع والتذكر والنهي عن الفساد، والدفاع عن الحق، ولذلك سنتناول هذه العناصر في مبحثين:

● **المبحث الأول: الهداية بالحق والعدل به:**

الآية التي ستأتي من سورة الأعراف وهي سورة مكية تعالج بصورة أساسية مسألة العلاقة بين الناس والحق، وتعبر عن الأقلية بلفظ مغاير هو لفظ

«أمة» ، إذ قال تعالى :﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف :١٨١] ، وهذه الآية وقعت في سياق كان يقيِّم الأكثرية بقوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف :١٧٩] ففهم من ذلك أن هذه الأمة تمثل الوجه المقابل وهو الأقلية، ذلك لأن آية أخرى من السورة نفسها قد عبرت بلفظ الأمة للدلالة على الأقلية من قوم موسى عليه السلام هي قوله تعالى :﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٩] ، وقد جاء في الخبر أن النبي ﷺ قال في تفسير هذه الآية :«هم هذه الأمة» وروي أنه قال : « هذه لكم وقد أعطى الله قوم موسى مثلها » ، وقرأ هذه الآية ثم قال : « إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم »[١] .

وإذا ثبت هذا فمعناه أن أول صفة للأقلية هي أنهم :﴿ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[الأعراف :١٥٩] ، ومعنى كونهم يهدون بالحق أنهم يحبونه ويدافعون عنه ويعتنقون مبادئه ويعملون بتشريعاته، ويتجاوزون ذلك لأنه فرض عين ، إلى هداية الناس به قولاً وعملاً واعتقاداً، بل ويتجاوزون ذلك إلى إقامة العدل بين الخلق بواسطته فهم ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾[الأعراف :١٥٩] . قال ابن كثير: في معنى الآية : من بعض الأمم أمة قائمة بالحق قولاً وعملاً يقولونه ويدعون إليه ويعملون ويقضون به قال رسول الله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة »[٢] .

ولا شك أن إشارة الحديث للطائفة يثبت تلك الصفة للأقلية، فهي التي تحرص على الدين وتسهر على إقامة العدل به حتى قيام الساعة، فالأمة بالمصطلح الإسلامي للأمة ويعني : « الجماعة التي تدين بعقيدة واحدة وتتجمع على

---

(١) القرطبي : الجامع ٧/٣٢٩ ، وانظر الجلالين ص ٢٣٠

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٢٦٩

آصرتها، وتدين لقيادة واحدة قائمة على تلك العقيدة، فهذه الأمة الثابتة على الحق، العاملة به في كل حين، هي الحارسة لأمانة الله في الأرض، الشاهدة بعهده على الناس، التي تقوم بها حجة الله على الضالين المتنكرين لعهده في كل جيل»[1]، فهذه الجماعة القليلة تتصف بصفتين كما يقول قطب:

(أ) ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾[الأعراف:١٥٩]: إن صفة هذه الأمة التي لا ينقطع وجودها من الأرض أيا كان عددها أنهم (يهدون بالحق) فهم دعاة الحق، لا يسكتون من الدعوة به وإليه، ولا يتقوقعون على أنفسهم، ولا ينزوون بالحق الذي يعرفونه، ولكنهم يهدون به غيرهم، فلهم قياده فيمن حولهم من الضالين عن هذا الحق المتنكرين لذلك العهد، ولهم عمل إيجابي لا يقتصر على معرفة الحق، إنما يتجاوزه إلى الهداية به والدعوة إليه والقيادة باسمه.

(ب) ﴿بِهِ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف:١٥٩] فيتجاوزون معرفة الحق والهداية إلى تحقيق هذا الحق في حياة الناس والحكم به بينهم تحقيقا للعدل الذي لا يقوم إلا بالحكم بهذا الحق، فما جاء هذا الحق ليكون مجرد علم يعرف ويدرس، ولا مجرد وعظ يهدي به ويعرف إنما جاء هذا الحق ليحكم أمر الناس كله، يحكم تصوراتهم الاعتقادية فيصححها ويقومها على وفقه، ويحكم شعائرهم التعبدية فيجعلها ترجمة عنه في صلة العبد بربه، ويحكم حياتهم الواقعية فيقيم نظامها وأوضاعها وفق منهجه ومبادئه ويقضي بشريعته وقوانينه المستمدة من هذه الشريعة، ويحكم عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وسلوكهم فيقيمها كلها على التصورات الصحيحة المستمدة منه، ويحكم مناهج تفكيرهم وعلومهم وثقافتهم كلها فيضبطها بموازينه، وبهذا كله يوجد هذا الحق في حياة الناس ويقوم العدل الذي لا يقوم إلا بهذا الحق، وهذا ما تزاوله تلك الأمة بعد التعريف بالحق والهداية به[2].

---

(١) في ظلال القرآن ٩/١٤٠٢

(٢) في ظلال القرآن ٩/١٤٠٢-١٤٠٣

إن الآية المحورية التي هي قوله تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨١] ، حين نفسرها في ضوء الحديث : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة »[١] تسمح لنا باستنتاج ما يلي:

١ـ الأمة الهادية إلى الحق باقية إلى يوم الدين.

٢ـ هذه الأمة تمثل الأقلية.

٣ـ لا تتضرر الأقلية الصالحة بمن خذلها ولا بمن خالفها.

● **المبحث الثاني: تذكر الحق**

قال ابن باديس رحمه الله: « الذكر حضور الشيء في القلب الحضور الثاني بعد زواله منه، المسبوق بحضور متقدم، هذه حقيقته، وقد يطلق على الحضور الأول توسعًا، وزواله بعد حضور هو النسيان، فهما ضدان »[٢] وهو أصل من أصول الدين العظيمة وتعبر عنه الآيات التالية:

١ـ ﴿ **اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾[الأعراف: ٣] ، أي قليلا ماتتذكرون أن الحق يقتضي اتباع ما أنزل إليكم من ربكم.

٢ـ ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النمل: ٦٢]، أي قليلا ماتتذكرون أن الحق يستوجب التوحيد.

٣ـ ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [غافر: ٥٨].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٦٩

(٢) ابن باديس: مجالس التذكير: ٣٨